



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (شرح السنة للبرهاري)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (5)

التاريخ: الأحد 11/ ذو القعدة/ 1440 هـ

14/ تموز/ 2019 م

الدرس الخامس من شرح السنة للبرهامي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد :

قال المؤلف: **([9] واعلم رحمك الله أنه ليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تتبع فيها الأهواء، بل هو التصديق بآثار رسول الله ﷺ بلا كيف ولا شرح، ولا يقال: لم ولا كيف؟).**

(ليس في السنة قياس)، هذا ما عليه السلف رضي الله عنهم؛ لا قياس عندهم ولا يضربون

الأمثال في العقائد هذا مقصودهم بالسنة هنا، وقد ذكرنا أن السنة يطلقونها على عدة

اعتبارات؛ هذا أحدها، معنى السنة هنا: العقيدة، فمسائل العقيدة ليس فيها قياس فهي

مسائل غيبية موقوفة على الكتاب والسنة، وعلى ما أجمعت عليه الأمة.

قال: **(ولا تضرب لها الأمثال)** بنفس المعنى المتقدم، لا يقال: هذا مثل هذا فيحمل عليه أو يلحق

به، هذا كله مردود غير مقبول عند السلف الصالح رضي الله عنهم.

قال: **(ولا تتبع فيها الأهواء)** لا تضرب لها الأمثال ولا تتبع فيها الأهواء، يعني: الواجب عليك أن

تسلم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ولما أجمع عليه السلف الصالح فيها، لا تضرب لها

الأمثال، لا تستعمل القياس، ولا تتبع هواك في ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا

لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُبْعَثُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيِرَ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾⁽¹⁾، إذاً الذي يخالف كتاب الله

وسنة رسوله ﷺ في الاعتقاد؛ يكون قد اتبع هواه سواء استعمل لذلك القياس أو غيره، المهم أنه

متبع لهواه، مخالف لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ، ويكون بذلك مخالفاً لما كان عليه السلف

رضي الله عنهم.

قال: **(بل هو التصديق بآثار رسول الله ﷺ)** أي: التصديق بما جاء عن رسول الله ﷺ سواء كان

من كتاب أو من سنة، فما صح به الخبر عن الله أو عن رسوله ﷺ؛ قلنا به واعتقدناه، وما لم

يصح فيه شيء؛ تركناه.

قال: **(بلا كيف ولا شرح)** يعني تثبت لله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ

من مسائل ذكرت ولا تعترض على ذلك بكيف، فإذا سمعت قول الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

¹ - [القصص: 50]

اَسْتَوَى؛ سَلَّمَ بذلك ولا تقل: كيف استوى؟ كما قال الإمام مالك رحمه الله - وكلامه قواعد - قال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة)، لماذا السؤال عن الكيف بدعة؟ لأن الله تبارك وتعالى قد أخبرنا أنه استوى، ونحن نعرف معنى الاستواء في اللغة؛ وهي العلو والارتفاع، ولم يخبرنا عن الكيفية؛ إذّا ثبت ما أثبتته وما أخبرنا به ونسكت عمّا سكّت عنه؛ هذه هي عقيدتنا، فلذلك نصدّق بالآثار التي وردت عن النبي ﷺ، يعني نسلم لها ونؤمن بها **(بلا كيف)** فلا نسأل عن الكيفية،

(ولا شرح)، يعني لا تفسير، لا معنى؛ كلها ألفاظ تجدها عند السلف رضي الله عنهم، تجدهم يقولون: ثبت لله سبحانه وتعالى ما أثبت لنفسه من غير كيف ولا معنى، أو: من غير كيف ولا تفسير، أو: من غير كيف ولا شرح، ومعنى ذلك: من غير شرح لها على شرح الجهمية، من غير تفسير لها كتفسير الجهمية، من غير معنى لها على المعنى الذي تذهب إليه الجهمية. والجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان الذين لا يثبتون لله ما أثبت لنفسه من أسماء وصفات في الكتاب وفي السنة، فالله سبحانه وتعالى يصف نفسه بالاستواء، فيقول: **﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾**، وهم يقولون: لم يستو، هو يصف نفسه باليدين، هم يقولون: ليس له يدان، يصف نفسه بأنه يتكلم، فيقولون: لا يتكلم؛ وهكذا، على هذه الوتيرة هم يمشون، فينفون عن الله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه؛ هؤلاء هم الجهمية، فهؤلاء يفسّرون معاني آيات الصفات وأحاديث الصفات على غير مراد الله وغير مراد رسوله ﷺ،

- فتجدهم يفسّرون مثلاً الاستواء بمعنى الاستيلاء،
- ويفسّرون اليد بمعنى القوة أو القدرة،
- ويفسّرون معنى الكلام: أنهم ينفونه، أو يقولون: كلام مخلوق،
- أو يقولون: كلام نفسي وما شابه،
مثل هذه التفاسير هي التي ذكرها السلف بأنها تفاسير باطلة، نردّها فنقول: بلا كيف ولا معنى على المعنى الذي أرادته الجهمية؛ هذا مراده بقوله: **(ولا شرح)** يعني لا تفسير لها على تفسير الجهمية.

(ولا يُقال: لَمْ ولا كَيْفَ) قال الإمام الشافعي وغيره: (لا يُقال للأصل لَمْ ولا كيف)⁽¹⁾،

لا يقال للأصل، أي: للدليل الشرعي من الكتاب والسنة، لا تورد عليه أسئلة كهذه، فلا يقال: لَمْ قال الله سبحانه وتعالى كذا؟ ولا يقال: كيف صفة الله تبارك وتعالى التي قال فيها كذا؟ هذا معنى: (لا يقال لَمْ ولا كيف) يعني لا تعترض على أدلة الشرع؛ بل خذها بالتسليم والتصديق، هذا هو المقصود، وتجد هذا في كلام السلف كثيراً، (لا تقل: لَمْ ولا كيف) يعني: لا تعترض على أدلة الشرع بهذه الأسئلة.

فالخلاصة من هذا الذي ذكره المؤلف رحمه الله: أنه يريد أن يبين لنا أن مسائل الاعتقاد مردّها إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ، ولا تعرف بالقياس؛ فلا قياس في مسائل الاعتقاد، والواجب فيها التسليم والتصديق وعدم تفسيرها بما تفسره عليه الجهمية وأهل البدع وأهل الكلام، وكذلك عدم الاعتراض عليها بسؤال: لَمْ أو كيف.

ثم قال رحمه الله: ([10] **فالكلامُ والخُصُومةُ والجِدالُ والمِرَاءُ مُحَدَّثٌ يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ، وَإِنْ أَصَابَ صَاحِبُهُ الْحَقَّ وَالسُّنَّةَ**).

الكلام في الدين بالجدال والخصومة- يعني: المخاصمة-: الأخذ والرد في المسائل الشرعية الدينية.

والجدال: يعني المناظرة، والمراء: أيضاً هو الجدال، قال بعضهم المراء: الجدال مع ظهور الحق، وقال البعض: هو نفس معنى الجدال، فهذه الكلمات مترادفة، بينها فروق خفيفة. قال: (**فالكلامُ والخُصُومةُ والجِدالُ والمِرَاءُ مُحَدَّثٌ**) يعني مبتدع.

من الذي ابتدعه؟

ابتدعه أهل الكلام، أهل الكلام عندما يتكلمون في دين الله وفي شريعته يتكلمون بماذا؟ يجادلون بالكلام ويستدلّون بالعقل، هذه هي طريقتهم، دليلهم هو العقل، ودينهم هو الجدال والمخاصمة والأخذ والرد، وتقاريرات كلها عقلية، وهذه الطريقة طريقة مبتدعة كما قال المؤلف رحمه الله وغيره من أهل العلم، وقد ذمّوا الكلام وذمّوا أهلَه حتى ألفوا فيه مؤلفات.

¹ - "الاعتقاد" للبيهقي (ص119).

لماذا هو محرّم؟

لأن النبي ﷺ يقول: "المراءُ في القرآن كُفْرٌ"⁽¹⁾، يعني: المجادلة في القرآن ربما أدت بالشخص إلى الكفر وأوصلته إلى ذلك؛ لأنه يؤدي إلى أن (يقدحُ الشكَّ في القلب)، يعني إذا كنت أنت تعتقد عقيدة صحيحة وأخذت تجادل وتناقش أحد أهل الكلام وأهل الباطل، ربما أدخل عليك الشك في عقيدتك.

قال: (وإن أصاب صاحبُه الحقَّ والسُنَّةَ) فهو مخطئ مع إصابته، فإنه إن أخذ يقرّر مسائل الدين بالمخاصمة والمجادلة وإن كان مصيباً وأصاب الحق فهو مخطئ؛ لأنه أصاب الحق من غير طريقه التي أمر بها ربنا تبارك وتعالى، وهو قد سلك طريقاً محرّماً، وإن وصل إلى نتيجة صحيحة لكنه ارتكب محرّماً بالطريقة التي سلكها.

ومن مفسد المجادلة في الدين -غير أنه يقدح الشك في القلب- أنه يورث الأحقاد في القلوب والتفرّق والاختلاف؛ بل ربما أوصل الناس إلى أن يكفّر بعضهم بعضاً.

لهذه الأسباب كلها حرّم السلف رضي الله عنهم المجادلة والمخاصمة في الدين.

ولأن الكثير من المتأخرين في زماننا هذا ممن يدعي السلفية قد خالف هذا الأصل السلفي وشطح شطحات عظيمة أدت به إلى أن يرتمي في أحضان المبتدعة؛ أحببنا أن نذكر لكم بعض آثار السلف في ذلك حتى تطمئن قلوبكم.

قال مسلم بن يسار -وهو أحد أئمة التابعين-: (إياكم والمراء؛ فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلّته)⁽²⁾.

وقد ذكرنا معنى المراء الذي هو الجدال والمخاصمة.

وقوله: (ساعة جهل العالم) أي: إن العالم يجهل في تلك اللحظة، وربما تزلّ قدمه ويفلت لسانه

بضلالة، فيطير بها الشيطان؛ فيقع الفساد والإفساد.

وقال أبو قلابة: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تُجادِلوهم فإنّي لا آمنُ أن يغمِسوكم في الضلالة أو يُلبّسوا عليكم في الدين بعض ما لبّسَ عليهم)⁽¹⁾.

¹ - أخرجه أحمد (7989)، وأبو داود (4603) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

² - "سنن الدارمي" (410)، "الشرعية" للآجري (210)، "الإبان" لابن بطة (547).

وقال عمر بن عبد العزيز - وهو الأمير المعروف وهو من أئمة التابعين أيضاً: (من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل)⁽²⁾.

يعني أنه يجعل نفسه في مقام الخصومات فتضربه الخصومات وتنزل على قلبه، فيكثر التنقل من دين إلى دين آخر.

وقال الحسن البصري وقد دعاه أحدهم إلى المخاصمة في الدين؛ قال: (أما أنا فقد أبصرت ديني فإن كنت أضللت دينك فالتمسهُ)⁽³⁾.

يعني: اذهب وابحث عنه، أما أنا فعلى بيئة من ديني والحمد لله.

وقال عبد الكريم الجزري: (ما خاصم ورع في الدين)⁽⁴⁾.

أي: من كان عنده ورع وخوف على دينه؛ لا يخاصم في الدين أبداً.

ورفض ابن سيرين وأيوب بن أبي تميمة السختياني أيضاً السماع من أهل الأهواء مطلقاً ولا حتى آية أو كلمة.

وقال الإمام أحمد في "أصول السنة"⁽⁵⁾: (أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والافتداء بهم، وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين).

ولو بحثت في كتب الاعتقاد عند السلف كلها تجدها تدور في محل واحد، فكلها خرجت من مشكاة واحدة.

¹ - "الشرعية" للآجري (114)، "القدر" للفريابي (366)

² - "سنن الدارمي" (312)، "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي (216)، "الإبانة" لابن بطة (565)، "القدر" للفريابي (384).

³ - "القدر" للفريابي (380)، "الإبانة" لابن بطة (586).

⁴ - "الشرعية" للآجري (123)،

⁵ - (ص14).

وقال فيه أيضاً: (ولا يخاصم أحداً ولا يناظره ولا يتعلم الجدل؛ فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروهٌ منهىٌ عنه، ولا يكون صاحبه وإن أصاب السنة من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم) (1)

معنى المكروه هنا: المحرم كما كانت تُستعمل عند السلف رضي الله عنهم؛ منهى عنه. وانظر كلام البرهاري؛ لا يخرج عن هذا أبداً؛ متطابق تماماً.

(ولا يكون صاحبه وإن أصاب السنة من أهل السنة حتى يدع الجدل) ويسلم لأمر الله تبارك وتعالى، ولا يجادل في دين الله تبارك وتعالى.

وهنا كلامٌ نفيس للأجري رحمه الله في كتابه "الشريعة" (2) قال: (مَنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ وَعَقْلٌ، فَمَيَّزَ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرِي لَهُ مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ؛ عَلِمَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا لَزِمَ سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِنَفْسِهِ، لِيَنْتَفِيَّ عَنْهُ الْجَهْلُ، وَكَانَ مُرَادُهُ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ، أَنْ يَتَعَلَّمَهُ لِلْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ، وَلَا لِلدُّنْيَا، وَمَنْ كَانَ هَذَا مُرَادُهُ سَلِمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَالضَّلَالِ).

يعني إذا لم يراء أو لم يمار ولم يجادل ولم يخاصم فهنا لن يجالس أهل البدع ولن يتعرض لشبهاتهم.

ثم قال: (وَاتَّبَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ، وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوفِّقَهُ لِذَلِكَ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمًا، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي الدِّينِ، يُنَازِعُهُ فِيهَا وَيُخَاصِمُهُ، تَرَى لَهُ أَنْ يُنَازِرَهُ، حَتَّى تَثْبُتَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَيَرُدَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ؟)

¹ - "أصول السنة" (ص 20).

² - (449/1)

هذا إشكال يورده الكثير من الشباب اليوم، يقول لك: أريد أن أناصحه، يذهب إلى رأس من رؤوس أهل البدع صاحب شبهات- وهو ليس عنده قدرة على مجادلته وليس عنده تمكّن في فنّه- فيذهب إليه ويقول لك: أريد أن أناصحه.

هو الذي يناصحك تلك الساعة ولست أنت الذي تناصحه، وَيَجْرُكُ معه؛ فيجب على الإنسان أن يكون عنده حرص على دينه وعلى نفسه، وألا يحسن الظن بنفسه أكثر مما يستحقّه، فهنا يجيب الآجري عن هذا؛ مع أن السؤال هنا وارد عن صاحب علم؛ لاحظ قوله: (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمًا) يعني عنده علم، يستطيع أن يتكلم مع هذا الشخص؛ ومع ذلك هذا جاء ينازعه ويخاصمه ويريد أن يعرف مسألة في الدين فهنا ماذا يقول له؟

قال: (قِيلَ لَهُ: هَذَا الَّذِي نُهِنَا عَنْهُ) انظر كيف؟ هذا نفسه الذي تسأل أنت عنه هو الذي نُهِنَا عنه.

قال: (وَهُوَ الَّذِي حَدَرْنَاهُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ) نحن نقرأ لكم من هذه الكتب؛ لأنهم لا يتكلمون عن أنفسهم، لا تكلمون بألسنتهم؛ إنما يتكلمون عن سلفنا رضي الله عنهم، وقد فهموا منهج السلف فهماً صحيحاً؛ لأنهم أخذوا العلم وراثته، الذي يأخذ علم الاعتقاد هذا والمنهج وراثته يبقى سليماً، لكن الخوف من الذي يأخذه من الصحف؛ إلا أن يرحمه الله سبحانه وتعالى برحمته؛ لذلك كان السلف يذمّون الصُّحُفِي ويحذرون منه؛ لأنه يفهم دين الله على غير مراد الله تبارك وتعالى، والعلم وراثته تَرِثُهُ عَمَّنْ قَبْلَكَ ومن قبلك يكون قد ورثه عمن قبله وهكذا.

قال الآجري: (هَذَا الَّذِي نُهِنَا عَنْهُ، وَهُوَ الَّذِي حَدَرْنَاهُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَاذَا نَصْنَعُ؟ قِيلَ لَهُ: إِنْ كَانَ الَّذِي يَسْأَلُكَ مَسْأَلَتَهُ مَسْأَلَةً مُسْتَرْشِدٍ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ لَا مُنَازَرَةً؛ فَأَرْشِدُهُ بِالطَّفِّ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَيَانِ بِالْعِلْمِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)، إذا ينبغي أن تكون أنت عندك علم بالكتاب والسنة، لا أن تذهب وتناصح شخصاً وأنت خالٍ من هذا العلم، المناصحة وإقامة الحجة تكون بأدلة الكتاب والسنة، يكون عندك معرفة بها، وعندك معرفة بردّ الشبهات، حتى إذا ألقى عليك شبهة؛ تستطيع أن تردّها عليه، فلا يأتي واحد من أنصاف المتعلمين ويذهب إلى شخص هو إمام في بدعته ويقول: أريد أن أقيم الحجة عليه؛ هذا سيدخل عليك الشُّبُهَة عندئذٍ وتضيع.

قال: (إِنْ كَانَ الَّذِي يَسْأَلُكَ مَسْأَلَتَهُ مَسْأَلَةً مُسْتَرْشِدٍ) يعني يريد أن يعلم، أن يتعلم (إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ لَا مُنَازَرَةً؛ فَأَرْشِدُهُ بِالطَّفِّ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَيَانِ بِالْعِلْمِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَوْلِ الصَّحَابَةِ، وَقَوْلِ أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ)؛ هكذا يكون الاستدلال وهكذا تكون إقامة الحجة: يَبْنِي بالدليل: قال الله كذا، قال رسول الله ﷺ كذا، أجمع العلماء على كذا، فسّر الصحابة بكذا، فسّر علماء الأمة الذين لا يُسْتَوْحَش من ذكرهم.

عندما تقرأ للأجري تجده دائماً يقول لك: (ومن الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم)، هناك أئمة يستوحش من ذكرهم وتخاف عندما تذكرهم؛ فهؤلاء ليسوا هم المقصودين؛ إنما المقصود من الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم كالإمام أحمد والإمام الشافعي ومن كان على طريقهم، وتذكر له أقوال أئمة الإسلام.

قال الأجري: (وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ مُنَازَرَتَكَ، وَمُجَادَلَتَكَ، فَهَذَا الَّذِي كَرِهَ لَكَ الْعُلَمَاءُ، فَلَا تُنَازِرْهُ، وَاحْذَرْهُ عَلَى دِينِكَ، كَمَا قَالَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ كُنْتَ لَهُمْ مُتَّبِعاً) أي: هذه طريقهم إن كنت محبباً لاتباعهم.

وأذكر شيخنا رحمه الله -الشيخ مقبل- كان يأتيه السائل ويسأله عن مسألة فيبيّن له حكمها ويبين له دليلها، فإذا أخذ يجادل وينظر؛ قال له: اذهب واطلب العلم يا بني، ويغلق عليه الباب؛ هكذا إذاً.

ثم قال: (فَإِنْ قَالَ: نَدْعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ، وَنَسْكُتُ عَنْهُمْ؟) أي: كيف ندعهم يتكلمون بالباطل ونحن نسكت لا نجادلهم؟

قال الأجري: (قِيلَ لَهُ: سُكُوتُكَ عَنْهُمْ وَهَجْرُكَ لِمَا تَكَلَّمُوا بِهِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مُنَازَرَتِكَ لَهُمْ كَذَا قَالَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ).

ثم أخذ يذكر بعض الآثار في ذلك منها قول محمد بن سيرين، وقد ماراه رجل في شيء؛ فيقول مهدي بن ميمون الراوي عن محمد بن سيرين: (سَمِعْتُ مُحَمَّدًا -يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ: وَمَرَّاهُ رَجُلٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَمَارَةِ، يَعْنِي أَخَذَ يَخَاصِمُهُ، يَرِيدُ أَنْ يَجَادِلَهُ، قَالَ: (فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: إِنِّي قَدْ أَعْلَمْتُ مَا تُرِيدُ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِالْمَمَارَةِ مِنْكَ) أي: أنا أعرف ما الذي تريده؛ يريد المخاصمة والمجادلة؛ فقال: (أنا

أَعْلَمُ بِالْمُارَاةِ مِنْكَ) يعني لو أريد أن أجادلَكَ سأفحمك الآن؛ أنا قادر على هذا؛ (وَلَكِنِّي لَا أَمَارِيكَ).
إذاً هذا هو منهجهم رحمهم الله ورضي عنهم.

ثم قال الأجري رحمه الله بعد ذلك: (أَلَمْ تَسْمَعْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي قَلَابَةَ:
لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي
الدِّينِ بَعْضَ مَا لَبَسَ عَلَيْهِمْ؟ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ الْحَسَنِ وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: أَلَا
تُنَاطِرُنِي فِي الدِّينِ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي، فَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ أَضَلَلْتَ دِينَكَ
فَالْتِمِسْهُ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ
أَكْثَرَ التَّنَقُّلِ؟).

قَالَ الْآجِرِيُّ: (فَمَنْ اقْتَدَى بِهِؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنْ اضْطَرَّنِي
فِي الْأَمْرِ وَقَتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَى مُنَاطَرَتِهِمْ) يعني وقع له ذلك ضرورةً كما وقع للإمام أحمد مع ابن
أبي دؤاد أمام الحاكم.

قال: (وَإِثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ أَلَا أَنُظِرُهُمْ؟ قِيلَ لَهُ: الْإِضْطِرَارُ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ إِمَامٍ لَهُ مَذْهَبٌ سَوْءٌ،
فَيَمْتَحِنُ النَّاسَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَذْهَبِهِ، كَفَعْلٍ مَنْ مَضَى فِي وَقْتِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ
خُلَفَاءَ امْتَحَنُوا النَّاسَ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى مَذْهَبِهِمُ السَّوْءِ، فَلَمْ يَجِدِ الْعُلَمَاءُ بُدًّا مِنَ الذَّبِّ عَنِ الدِّينِ، وَارَادُوا
بِذَلِكَ مَعْرِفَةَ الْعَامَّةِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، فَنَاطَرُوهُمْ ضُرُورَةً لَا اخْتِيَارًا، فَأَثْبَتَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ الْحَقَّ مَعَ
أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَأَدَلَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْمُعْتَزِلَةَ وَفَضَحَهُمْ، وَعَرَفَتِ الْعَامَّةُ أَنَّ الْحَقَّ
مَا كَانَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمَنْ تَابَعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَرْجُو أَنْ يُعِيدَ اللَّهُ الْكَرِيمُ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْ
أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ مُحَنَّةٍ تَكُونُ أَبَدًا)⁽¹⁾ يعني حالة ضرورية كهذه الصورة المذكورة؛ عندئذٍ
يجوز المناظرة؛ وإلا فالأصل الذي مضى عليه السلف: عدم مجادلة أهل البدع وعدم مناظرتهم.

وبهذه الفقرة يكون البرهاري قد أنهى التأصيل المنهجي عند أهل السنة والجماعة في قضية
السنة والبدعة وبيان منهج السلف الصالح رضي الله عنهم في ذلك، ثم بعد ذلك سيبدأ بذكر
خصال السنة التي خالف فيها أهل البدع والضلال، وأول ما بدأ به: الكلام في الرب تبارك

¹ - الشريعة (ص 429 فما بعده)

وتعالى؛ في ذاته وأسمائه وصفاته؛ فهي من أعظم المسائل التي خالف فيها أهل البدع أهل السنة والجماعة.

قال رحمه الله: **[11] واعلم - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرَّبِّ تَعَالَى مُحَدَّثٌ، وَهُوَ بَدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ، وَلَا يُتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ، وَهُوَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - وَاحِدٌ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} رَبُّنَا أَوَّلُ بَلَا مَتَى، وَآخِرُ بَلَا مَتَى، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى، وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ).**

الكلام في الرب؛ يعني في ذات الله تبارك وتعالى وفي أسمائه وفي صفاته بدعة محدثة أحدثها المتكلمون، والسلف كانوا لا يتكلمون في ذات الله وأسمائه وصفاته، بمعنى أنهم يؤمنون بما جاء في الكتاب والسنة من ذلك ويسلمون ولا يجادلون ويخاصمون فيه، وأول من أحدث الجدل في ذلك أهل الأهواء والبدع الذين هم المتكلمون، يتكلمون في الله بما يتوافق مع عقولهم وأهوائهم فأفسدوا دين الله وأتوا بالبدع والمحدثات وفرّقوا الأمة، والواجب التسليم لله في ذلك؛ فالعقول عاجزة عن أن تصف الله تبارك وتعالى بما يليق به وصفاً تفصيلياً؛ إنما تدرك العقول في الجملة أن الله سبحانه وتعالى يستحق صفات الكمال ولا تجوز عليه صفات النقص - هذا في الجملة - أما عند التفصيل: فهذا العقل لا يستطيع أن يقف عليه ويجب أن يُترك هذا الأمر إلى ربنا تبارك وتعالى، فما وصف به نفسه أثبتناه له، وما نفاه عن نفسه نفينا عنه، وما سكّت عنه سكّتنا عنه؛ هذه هي عقيدة السلف رضي الله عنهم في ذلك.

قال المؤلف: **(وَلَا يُتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ)**

هذه طريقة السلف يؤصلها المؤلف في باب الأسماء والصفات وفي الكلام في ذات الله تبارك وتعالى؛

قال: **(وَلَا يُتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّوَجَلَّ)** فما وصف به نفسه في الكتاب أو في السنة؛ وصفناه به، وما لم يصف نفسه به؛ لم نصفه به، وما سكّت عنه؛ سكّتنا عنه، يعني ما نفاه عن نفسه نفينا عنه، وما سكّت عنه سكّتنا عنه؛ هذه طريقة السلف في ذلك، فكانوا لا

يتكلمون في الله إلا بما جاء في الكتاب والسنة، لا يتجاوزون ذلك، وقد صح عن الإمام الأوزاعي والإمام مالك والإمام الثوري والإمام الليث بن سعد، وهو من أتباع التابعين، وكان إمام أهل مصر في زمنه، وسفيان الثوري أيضاً من أتباع التابعين وكان إمام أهل الكوفة في زمنه، وعبدالله بن المبارك كذلك من نفس الطبقة وكان إمام أهل السنة في خراسان، وسفيان بن عيينة من نفس الطبقة وكان إمام أهل السنة في مكة، ومالك بن أنس من نفس الطبقة وهو إمام أهل السنة في المدينة، والإمام الأوزاعي كان إمام أهل السنة في بلاد الشام، هؤلاء أئمة أهل السنة في زمنهم أو من أئمة أهل السنة في زمنهم في هذه الدول؛ فصَحَّ عن الوليد بن مسلم أنه قال: (سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ عَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا الرُّوْيَةُ، فَقَالُوا: «أَمَرُوها بِلَا كَيْفٍ»⁽¹⁾)، أي: أَمَرُوها كما جاءت في القرآن وفي السنة بلا كيف، إذاً كما جاءت على معانيها، على ما تقتضيه اللغة العربية، بهذا كان يفهمها الصحابة رضي الله عنهم، القرآن في عهد النبي ﷺ كان يقرأه العربي والأعجمي ويقرأه الرجال والنساء والكبار والصغار وكانوا يفهمونه على مقتضى اللغة العربية وكانوا يسألون النبي ﷺ عن كل ما أشكل عليهم، ولم يأت في السنة أنهم استشكلوا آيات الصفات، وقالوا بأن هذه يجب أن ننزه الله سبحانه وتعالى عنها وفيها إضافة النقص إلى الله سبحانه وتعالى؛ ما قالوا هذا للنبي ﷺ ولا استشكلوه ولا وجَّه النبي ﷺ بغير ظاهرها، ولم يأت في السنة عن النبي ﷺ أن معنى السمع غير السمع، ومعنى البصر غير البصر، ومعنى اليد غير اليد؛ لم يرد شيء في هذا، إذاً ماذا يكون هذا مع وصف الله سبحانه وتعالى لكتابه بأنه كتاب مبين، كتاب واضح، كتاب جلي، الحق فيه بيّن؟ والأصل أن النبي ﷺ نزل عليه الكتاب كي يبينه للناس ويوضح ما أشكل عليهم فيه، وما ليس واضحاً وجب عليه أن يوضحه، ومع كل هذا ما جاءنا ولا حتى حديث واحد يقول لنا: أدلة الصفات ظاهرها غير مرادٍ، شيء مستحيل وما يقول بهذا إلا صاحب ضلالة- نعوذ بالله- وأهل الكلام هؤلاء الذين أفسدوا في دين الله ما أفسدوه وخالفوا أصل السلف في هذا؛ تخبَّطوا واختلطت عليهم الأمور وتضاربت عقولهم تضارباً شديداً؛ حتى إن بعضهم في النهاية مات حائراً في أمر دينه، وبعضهم يقول: (قد

¹ - "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (558/3).



طفت المدارس وسمعت وجادلت وخاصمت وها أنا في النهاية أموت على عقيدة عجائز نيسابور⁽¹⁾ هذا هو، هذا ما أنتجه في النهاية، أفنى عمره في القيل والقال والكلام وبدون فائدة، وفي النهاية علم أنه كان على ضلال ورجع إلى عقيدة عجائز نيسابور، والله بنس هذا العلم الذي يجعلك تتعلم وتتعلم ثم ترجع إلى دين العجائز، وقد تاب منه الكثير بعد علمهم بضلال هذا الطريق الذي كانوا عليه، فالواجب هو سلوك منهج السلف في هذا.

يؤصل لنا المؤلف- رحمه الله - أن السلف كانوا في مسائل الأسماء والصفات يقفون عند الكتاب والسنة وإجماع علماء المسلمين، لا يتجاوزون ذلك، فيقدّمون النقل على العقل، يقدّمون النقل على كل شيء؛ هذا لو سلمنا بأنه يمكن أن يتعارض العقل مع النقل؛ وإلا فالعقل الصحيح الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح أبداً، لا يمكن أن يكون بينهما تعارض، لكن حين يكون في العقل بعض الخلل يمكن أن يتعارض مع النقل؛ عندئذٍ يجب على هذا العقل أن يسلم للنقل، أن يسلم للكتاب والسنة، ويّتهم صاحب العقل عقله في ذلك؛ هكذا كان السلف رضي الله عنهم.

وقد بوّب اللالكائي رحمه الله في "شرح السنة"⁽²⁾ باباً في: (سياق ما يدلّ من كتاب الله عز وجل وما روي عن رسول الله ﷺ على أن وجوب معرفة الله وصفاته بالسمع لا بالعقل) إذاً فالواجب أن تعرف الله سبحانه وتعالى وأن تعرف صفات الله سبحانه وتعالى عن طريق الشرع، ثم ذكر أدلة تدل على هذا الأمر.

وكذلك أبو عثمان الصابوني رحمه الله في كتابه "عقيدة السلف أصحاب الحديث"⁽³⁾ قال: (أصحاب الحديث، حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم، يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله) هكذا يعرفون الله بصفاته؛ بما نطق به الوحي في الكتاب وبما أنزله على رسوله ﷺ.

¹ - "العلو للعلي الغفار" (ص 258).

² - (216/2)

³ - (ص 2)



قال: (أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه)، هذه عقيدتهم؛ يقرّرون الصفات التي ذكرها ربنا تبارك وتعالى في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ ومع ذلك؛ مع أنهم يؤمنون بهذه الصفات؛ لا يعتقدون بأنها تشابه صفات المخلوقين، فلا يقولون: يدٌ كيدٍ، أو: سمعٌ كسمعٍ، أو: بصرٌ كبصرٍ، لا يقولون: لله يدٌ كأيدينا، وسمعٌ كسمعنا، وبصرٌ كبصرنا؛ هذا هو التشبيه، هم لا يثبتون هذا ويقولون: الله سبحانه وتعالى له الصفات التي تليق بجلاله وعظمته .

قال الصابوني: (فيقولون إنه خلق آدم بيده كما نصّ سبحانه وعليه في قوله عزّ من قائل: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾⁽¹⁾) هذا نص صريح بأن الله سبحانه وتعالى قد خلق آدم بيديه؛ فنثبت لله اليدين كما أثبتهما لنفسه، ونعلم ونعتقد أن يديّ الله سبحانه وتعالى تليقان بجلاله وعظمته ولا تشبهان أيدي المخلوقين؛ هذه عقيدة السلف رضي الله عنهم.

قال: (ولا يحرفون الكلام عن مواضعه) فلا يقولون: اليد بمعنى القدرة أو بمعنى القوة؛ لا يحرفون الكلام، هذا من تحريف الكلام، وهذا المعنى ليس مراداً؛ وإلا فإنه بقوته أو بقدرته قد خلق الخلق كلهم بها؛ فلماذا آدم بالذات قال فيه: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾؟ لماذا خصّه بهذا؟ فلا يصح مثل هذه التفاسير.

ثم إن ظاهر كلمة اليدين ليست القوة والقدرة؛ بل ظاهرها الصفة المعلومة، فعندما تفسرها بالمعنى الآخر وجب عليك أن تأتي بدليل على هذا التفسير، ولا يوجد عندهم دليل؛ ما دليلهم؟ يقول لك: العقل، يقولون: عقلاً لا يجوز أن نصف الله بهذه الصفة، لماذا لا يجوز؟ قالوا: فيها نقص، فيها تشبيه، فقل: لا يلزم التشبيه؛ إنما فيها تشبيه لو قلت: (يد كيد) كما نص على ذلك إسحاق بن راهويه - من أئمة السلف - لما ذكروا له التشبيه؛ قال: إذا قلت: (يد كيد هذا هو التشبيه)⁽²⁾، وهنا لم نقل: يد كيد.

¹- [ص: 75]

² - "العرش" للذهبي (335/2).

قال: (ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين)، هذا معنى تحريف الكلام عن مواضعه: أن تقول: معنى اليد النعمة أو القوة؛ تحريف المعتزلة والجهمية والأشاعرة أيضاً كذلك، والماتوريدية والكلاّبية؛ كل هؤلاء كان السلف يسمونهم جهمية؛ لأن أصلهم واحد وهو تقديم العقل على النقل، كلهم متفقون على هذا الأصل: تقديم العقل على النقل، فلا يأتينا جاهل يقول: الأشاعرة من أهل السنة، كيف يكونون من أهل السنة وهم يقدمون العقل على النقل؟ الأشاعرة يوافقون الجهمية في أعظم أصل عند الجهمية ويخالفون أهل السنة، أعظم أصل عند أهل السنة هو تقديم النقل - النص الشرعي - على كل شيء وفي كل شيء من أمور الدين؛ فكيف تأتي أنت وتقول لي: والله هؤلاء من أهل السنة؟ لا يكون الشخص سنياً حتى تكون السنة عنده مقدمة في كل شيء.

قال الصابوني: (ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة الجهمية، أهلكهم الله، ولا يكيّفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين) يعني: السلف ما كانوا يحرفون تحريف المعتزلة والجهمية، ولا يكيّفونهما بكيف، عندما نقول: إن لله يدين نعلم أن لها كيفية؛ لكننا نجعل هذه الكيفية، لماذا نجعلها؟ لأن الله سبحانه وتعالى ما أخبرنا بها، أخبرنا بأن له هذه الصفة ولم يخبرنا بكيفيتها، فنثبت ما أخبرنا به ونسكت عما سكّت عنه. كذلك لم يشبهوهما بأيدي المخلوقين.

وانظر كيف يردُّ المؤلف على الطائفتين: طائفة الجهمية الذين ينفون ويحرفون، وطائفة المشبهة، فلا يشبهون الله سبحانه وتعالى بخلقه ولا يشبهون صفاته بصفات خلقه، وفي نفس الوقت، لا ينفون عنه ما أثبت لنفسه، وهذا مقرر في الآية.

قال البرهاري: (فهو جل ثناؤه واحد {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ})، هذه الآية أصل، {ليس كمثله شيء} : رد على المشبهة، {وهو السميع البصير} : رد على الجهمية المعطلة.

وأهل السنة هم أسعد الناس بالأدلة الشرعية، يأخذون بالأدلة كاملة متكاملة وينظرون إلى الشرع كله مع بعضه، لا يأخذون البعض ويتركون البعض الآخر كما يفعل أصحاب الأهواء، هذه عقيدة أهل السنة في هذه المسألة ذكرها لنا كاملة الإمام الصابوني رحمه الله.

ونزيد الأمر توضيحاً بنقل كلام الترمذي رحمه الله في كتابه "الجامع"، قال عند ذكر الحديث (رقم 662): "إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه"، وأنتم تعرفون أن الترمذي رحمه الله بعد أن يذكر الحديث ينقل مذاهب علماء السلف، أهل الحديث؛ فقال رحمه الله في هذا الحديث هذا: (وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَمَا يُشْبِهُهُ هَذَا مِنَ الرُّوَايَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ: وَنَزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالُوا: قَدْ تَثَبُّتُ الرُّوَايَاتُ فِي هَذَا وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلَا يُتَوَهَّمُ وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ؛ هَكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: "أَمْرُهَا بَلَا كَيْفٍ"، وَهَكَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيهُ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْيَدَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ، فَتَأَوَّلَتِ الْجَهْمِيَّةُ هَذِهِ الْآيَاتِ فَفَسَّرُوهَا عَلَى غَيْرِ مَا فَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ آدَمَ بِيَدِهِ، وَقَالُوا: إِنَّ مَعْنَى الْيَدِ هَاهُنَا الْقُوَّةُ"، وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: "إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيْدٌ، أَوْ مِثْلُ يَدٍ، أَوْ سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَإِذَا قَالَ: سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَهَذَا التَّشْبِيهُ، وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَدٌ، وَسَمْعٌ، وَبَصَرٌ، وَلَا يَقُولُ كَيْفَ، وَلَا يَقُولُ مِثْلُ سَمْعٍ، وَلَا كَسَمْعٍ، فَهَذَا لَا يَكُونُ تَشْبِيْهًا).

حديث نزول الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا كان قاصمة ظهر لأهل البدع؛ فحاولوا بكل أساليبهم رد هذا الحديث وتحريفه؛ لذلك تجد العلماء يتكلمون عن منهج السلف في مسألة الصفات عند هذا الحديث؛ فلذلك ذكره الترمذي رحمه الله هنا، قال: (قَالُوا: قَدْ تَثَبُّتُ الرُّوَايَاتُ فِي هَذَا وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلَا يُتَوَهَّمُ وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ) يعني نصدق بما جاء فيها على مقتضاها العربي الصحيح.

قال: (وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ، هَكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ بْنِ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: "أَمْرُهَا بَلَا كَيْفٍ"، وَهَكَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيْهٌ) هذا كلام الترمذي رحمه الله، والترمذي من تلاميذ الإمام البخاري، والإمام البخاري من تلاميذ الإمام أحمد؛ وهكذا، سلسلة كلها. قال الترمذي: (وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيْهٌ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْيَدَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ، فَتَأَوَّلَتِ الْجَهْمِيَّةُ هَذِهِ الْآيَاتِ) يَعْنِي حَرْفَتَهَا (وَفَسَّرُوَهَا عَلَى غَيْرِ مَا فَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ آدَمَ بِيَدِهِ، وَقَالُوا: "إِنَّمَا مَعْنَى الْيَدِ الْقُوَّةُ"، وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - يَعْنِي ابْنَ رَاهَوِيَةَ، صَاحِبَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ -: "إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيْدٌ، أَوْ مِثْلُ يَدٍ، أَوْ سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَإِذَا قَالَ: سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَهَذَا التَّشْبِيهُ) إِذَا قَالَ سَمْعٌ كَسَمْعٍ الْبَشَرِ أَوْ: سَمِعَ اللَّهُ مِثْلَ سَمْعِ الْبَشَرِ؛ أَوْ سَمِعَ الْمَخْلُوقِينَ؛ عِنْدُنَا يَكُونُ تَشْبِيهًا.

قَالَ: (وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَدٌ، وَسَمْعٌ، وَبَصَرٌ، وَلَا يَقُولُ كَيْفَ، وَلَا يَقُولُ مِثْلُ سَمْعٍ، وَلَا كَسَمْعٍ، فَهَذَا لَا يَكُونُ تَشْبِيهًا) هَذَا إِمَامٌ مِنْ أُمَّةِ السَّلَفِ يَنْصُ عَلَى هَذَا، قَالَ: (وَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾) هَذَا تَقْرِيرُ عَقَائِدِ السَّلَفِ وَمَنْهَجِهِمْ فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيُّ صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ: (اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَبِالْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الثَّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صِفَةِ الرَّبِّ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ وَلَا تَفْسِيرٍ)⁽¹⁾، انْظُرِ الْآنَ مَعْنَى التَّفْسِيرِ الَّذِي أَرَادَهُ؛ قَالَ: (فَمَنْ فَسَّرَ الْيَوْمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ يَقُولُ جَهْمٌ؛ فَقَدْ خَرَجَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ؛ لِأَنَّهُ وَصَفَ الرَّبَّ بِصِفَةٍ لَا شَيْءَ)؛ لِأَنَّكَ عِنْدَمَا تَنْفِي الصِّفَاتِ؛ لَمْ يَعْذِ هُنَاكَ صِفَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَالَ السَّجْزِيُّ كَذَلِكَ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْأُتَمَّةُ؛ قَالَ: (وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ لَا يَجُوزُ رَدُّهُ بِالْعَقْلِ؛ بَلِ الْعَقْلُ دَلٌّ عَلَى وَجُوبِ قَبُولِهِ وَالْإِتِّمَامِ بِهِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا ثَبِتَ عَنْهُ؛ لَا يَجُوزُ رَدُّهُ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ رَدُّ كُلِّ مَا خَالَفَهُمَا أَوْ أَحَدَهُمَا)⁽²⁾ كَذَا فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ زَيْدٍ؛ يَقَرُّرُ فِيهَا مَنْهَجَ السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي تَقْدِيمِ النُّقْلِ عَلَى الْعَقْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا. وَهَذَا صَارَ الْأَمْرُ وَاضِحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ سَيَبْدَأُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِتَقْرِيرِ صِفَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّتِي ثَبَّتَتْ فِي كِتَابِهِ وَفِي سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

¹ - "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي (480/3)

² - "رسالة السجزي إلى أهل زيد" (ص 135).